Doğu Anadolu Sosyal Bilimlerde Eğilimler Dergisi, 4/2, 2020
e-ISSN: 2564-7202

علم اللغة واللسانيات: دراسة في النشأة والتسمية والمفهوم

Dr. Majed HAJ MOHAMMAD[1] **Dr. Eşref İNAN**[2]

الملخص

يعدُّ مصطلحا "علم اللغة" و"اللسانيات" من أكثر المصطلحات جدلاً في نظر علماء المشرق والمغرب العربي، وتكمن جدلية هذين المصطلحين في أن كل طرف منهما (أي المشارقة والمغاربة) يحاول أن يجعل لأحد المصطلحين قدَمَ السبق على الآخر في ميدان الدراسات اللغوية، ويدعو إلى تسيد هذا المصطلح للميدان، وجعل جميع المسائل التي تتعلق بعلم اللغة تندرج تحته، فعلماء المشرق العربي يُدرجون أي مسألة تتعلق باللغة ضمن ما يُسمّى "علم اللغة"، أما علماء المغرب العربي فيدرجون هذه المسائل تحت مُسمى "اللسانيات". بل وصل الأمر ببعض الباحثين في ميدان الدراسات اللغوية إلى تخطئة الطرف الآخر، وتقديم الأدلة والشواهد التي تؤكد على أن الوهم والوهن قد شابَ آراءه. انطلاقاً مما تقدّم جاءت هذه الدراسة لتسلِّط الضوء على تعاريف مصطلحي "علم اللغة، واللسانيات"، وتبيان أوجه الاختلاف والاتفاق بينهما، وقد بدأت بتعريف اللغة معجمياً واصطلاحاً، ثم انتقلت للحديث عن الأصول الأولى لنشأة هذا العلم (علم اللغة أو اللسانيات) عند العرب الأوائل، وبيّنت تسمياتهم له، وكيفيّة استخدامه، ثم فصلت القول في آراء اللغويين المشارقة، واللسانيين المغاربة في هذين المصطلحين، وقد وصلت الدراسة في النهاية إلى مجموعة من النتائج عرضتها في الخاتمة، بيّنتْ أسبقية أحد المصطلحين على الآخر، وأيهما جدير بتسيِّد ساحة الدراسات اللغوية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، علم اللغة، اللسانيات، النشأة، التسمية، المفهوم، علماء المشرق العربي، علماء المغرب العربي.

DİLBİLİM VE LİSANİYAT: BU İKİ KAVRAMIN DOĞUŞU, İSİMLENDİRMESİ VE ANLAMI

Özet

Dilbilim ve Lisaniyat kavramları doğu ve batı Arap âlimleri arasında en fazla tartışılan kavramlardandır. Bu iki kavramla ilgili tartışma her iki taraftan (doğu ve batı Arap âlimleri) birinin dil araştırmaları alanında bu kavramlardan birini diğerinden önce kılma, bu alanda egemen kılma ve dilbilimiyle ilgili bütün konuları onun altına sokmaya çalışmasından kaynaklanmaktadır. Doğu Arap âlimleri dil ile ilgili her meseleyi dilbilim alanına dâhil etmektedirler. Batı Arap âlimleri ise dil ile ilgili meseleleri lisaniyat alanına dâhil etmektedirler. Hatta durum, dil araştırmaları alanında araştırma yapanların bir kısmının diğer tarafı hatalı görmeye ve onun görüşünün zayıf ve hatalı olduğuna dair deliller ve şahitler sunmaya kadar varmıştır. Bu anlatılanlardan hareketle bu araştırma, dilbilim ve lisaniyat kavramlarının tanımına ışık tutma ve bu iki kavram arasındaki farklılıklar ve benzerlikleri açıklamayı amaçlamaktadır. İlk etapta dil kavramının sözlük ve terim anlamları açıklanmıştır. Sonra bu ilim (dilbilim ya da lisaniyat ilmi) ilk Araplarda doğuşunun ilk esasları, onların bu ilme verdikleri isim ve bunu hangi anlamda kullandıkları şeklinde ele alınmıştır. Daha sonra doğu dilcileri ile batı dilcilerinin bu iki kavramla ilgili görüşleri açıklanmıştır. Bu araştırma sonucunda birtakım neticeler elde edilmiştir. Bunlara sonuç kısmında yer verilmiştir.

Anahtar kelimeler: *Arap Dili, Dilbilim, Lisaniyat, Doğuş, İsimlendirme, Anlam, Doğu Arap âlimleri, Batı Arap âlimleri.*

[1] Doktor Öğretim Üyesi, Hakkari Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü, Arap Dili Ve Belagatı Anabilim, halap-200200@hotmail.com, 0000-0003-3315-712X
[2] Öğretmen, Milli Eğitim Bakanlığı, e.hamzainan@gmail.com 0000-0002-4417-2328.

المقدمة

تعد اللغة مخزن الفكر الإنساني، وعنوان حضارته، فعن طريقها دوّنت الأممُ مآتيها التاريخيّة، ومنجزاتها العلميّة، فهي ملك الأمة، لا الأفراد[٣]، انطلاقاً من ذلك أولى علماء اللغة على اختلاف أجناسهم اللغات الإنسانية عناية خاصة، وسعوا إلى إخضاعها للعلم، فنشأ علم جديد، يُعنى بدراسة اللغة ويخضع للقوانين، فأصبح كغيره من العلوم الاجتماعية والفلسفية خاضعاً لقوانين معينة، أي أنه غدا علما مُقنّناً.

وقد كانت البدايات الأولى لهذا العلم –بمسماه الحديث– في الغرب، حيث بدأ بالظهور والتبلور على يدي عالم اللغويات السويسري فرديناند دي سوسير ١٩١٦م، في المحاضرات التي ألقاه في جامعة جنيف في المدة الزمنية المتراوحة بين عام ١٩٠٦–١٩١١م، وهي المدة الزمنية التي أسّسَ فيها كتابه، فقد ألقى عدة محاضرات على طلبته، حاول أن يَدرُسَ فيها طبيعة اللغة ووظيفتها، وقد ضمّن علم اللغة علوما أخرى، رأى أنها تتفرّع عن هذا العلم، وقد سمّاها: علم اللغة الوصفي، ثم علم اللغة التاريخي، ثم علم اللغة الجغرافي، ثم بعض القضايا التي تربُط اللغة بالعلوم الإنسانية، ثم جاء من بعده بلومفيلد "Bloomfield"، وجيلسون "Gleason"، وهوكيت "Hokiett"، ومارتينية "Martinet"، وياكوبسون "Jakobson"، وشوموسكي "Chomsky"، وروبينز "Robins"، وليونز "Lyons"[٤].

وعندما حاول علماء العرب المهتمين بالدرس اللغوي، نقل هذا المصطلح إلى العالم العربي، وقعوا في مصيدة تعدد الترجمة لهذا المصطلح، فكان كلّ عالم ومترجم يترجم المصطلح من وجهة نظره، دون أن يجتمعوا على لفظ واحد، ما أدى إلى شيوع عشرات المصطلحات المتشابهة المتقاربة؛ لذلك يمكننا القول: إن هذا العلم قد عُرِف عند علماء اللغويات والباحثين في الشأن اللغوي في المشرق العربي باسم "علم اللغة، بينما عُرف في المغرب العربي باللسانيات، ومن هنا انطلقت الشرارة الأولى للخلاف الحاصل بين علماء كلا الطرفين في تعريف وفهم وشرح هذا المصطلح.

انطلاقاً مما تقدم جاءت هذه الدراسة؛ لتبين للمتلقي أن معرفة موقف علماء المشرق العربي ومغربه من هذين المصطلحين، ووجهة نظرهما فيهما لا تقلُّ أهمية عن أي دراسة لغوية أخرى؛ لأن التفريق بين هذين المصطلحين سيسهل على المتلقي معرفة المعنى الحقيقي لهذا العلم عند كلا الطرفين، والفروع التي تنطوي تحته؛ لذلك طرحت الدراسة أسئلة عدّة ؛ لتزيل الضبابيّة التي اعترت المصطلحين لدى المتعلمين والدارسين في ميدان الدراسات اللغوية (اللسانيّة)، ومن أهم الأسئلة التي طرحتها الدراسة، ما يلي:

ما هو تعريف علماء اللغة في المشرق العربي ومغربه لهذا العلم؟ وما هي أوجه الخلاف بين التعريفات؟ ولماذا يصر كل منهما على التمسك برأيه؟ وإذا كان لكل منهما تعريف خاص بهما، فهل ثمّة قاسم مشترك بين هذه التعريفات؟ وما هي المواد التي تنطوي تحت كل تعريف؟

وقد اتبع الباحثان في الدراسة المنهج الاستقصائي التحليلي القائم على البحث عن المعلومة اللغوية الخاصة بهذين المصطلحين وتحليلها؛ لمعرفة ماهيتها، وأطرها، وتفرّعاتها، وقد وقفت الدراسة عند عشرات الكتب القديمة والحديثة التي تناولت الدراسات اللغوية عند العرب القدماء والمحدثين، لا سيما الأعلام منهم، وقد ارتأى الباحثان أن يبدأا دراستهما بتعريف اللغة "لغة"

---

[٣] فريحة، أنس، ***نظريات في اللغة***، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١، ط٢، ص٧٨.

[٤] ليونز، جون، ***بعض المدارس والاتجاهات الحديثة في "علم اللغة"***، مجلة البيان، الكويت، ١٩٨٧، ع ٢٥٠، (٧٢–٩٣)، ص٧٥؛ حجازي، محمود فهمي، ***مدخل إلى علم اللغة***، دار قباء، القاهرة، دون ط، دون ت، ص٢٦.

ثم اصطلاحاً، ثم انتقلا للحديث عن نشأتها عند العلماء العرب الأوائل، ثم فصّلا القول في نظرة علماء اللغة في المشرق العربي ومغربه من هذين المصطلحين، وبيّنا ما اندرج تحت مصطلح "علم اللغة" من علوم، وكذلك كان الأمر بالنسبة للسانيات.

المدخل

قبل أن نبدأ في دراسة ثنائية علم اللغة واللسانيات عند علماء اللغة المحدثين في مشرق العالم العربي ومغربه، لا بدّ لنا من تعريف اللغة معجميّاً، وتعريف هذا العلم الجديد المحدَث اصطلاحياً.

اللغة معجميّاً: كلمة (لغة) مصدر على وزن (فُعْلةٌ) من لَغَوت أي تكلَّمت، أصلها لُغوة ككُرةٍ وقُلةٍ وثُبةٍ، واللُّغة: اللِّسْنُ، وحدُّها أنها أصوات، وقيل في المحكم: الجمعُ لُغات ولُغونَ، وقال أبو سعيد: إذا أردت أن تنتفع بالإعراب فاسْتَلْغِهِم أي اسمع من لُغَاتِهم، وقال الأعرابي: اللغة أُخِذَت ممن تكلَّموا بكلامٍ مالوا فيه عن لُغَةِ هؤلاءِ الآخرين، ويقال هذه لُغتَهم التي يَلْغَونَ بها أي يَنْطِقُونَ، ويقال سَمِعتُ لُغاتِهم: اختلاف كلامهم. وقال الأَزهري: واللُّغة من الأَسماء الناقصة وأَصلها لُغْوة من لَغا إِذا تكلم. وقال الكسائي: لغا في القول يلغى، وبعضهم يقول يلغوُا، ولغى يلغي، لغة، ولغا يلغو لغوا: تكلم. وفي الحديث: (من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه: صه، فقد لغا) أي تكلم. وفي الحديث: (من مسَّ الحصى فقد لغا) أي تكلم.[٥]

اللغة اصطلاحاً

بداية لا بد لنا من الإشارة إلى أنه لا يتعين علينا أن نستقصي جميع كتب علم اللغة في تعريفها؛ لأنها كتب ينقل بعضها عن بعض بإشارة أحياناً، وبإهمال الإشارة أحياناً أخرى، كذلك الذي يمنعنا من تقديم جميع التعريفات، هو أننا سنقدم كثيراً منها في أثناء عرضنا لآراء ونظرات علماء المشرق العربي في هذا العلم.

يرى **أنيس فريحة** أن تعريف اللغة عمل شاق، فتعريفها في رأيه من السهل الممتنع؛ لذلك قال في تعريفها: اللغة من الأمور الطبيعيّة المألوفة التي يمارسها جميع البشر عفوياً، لا تتطلّب جُهداً ولا تفكيراً، يستعملها الولد بيسر، وهي عنده بسيطة كالمشي والأكل والشرب والنوم، ويقدّم فريحة تعريف ابن جني للّغة ، حيث قال: "هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ويوجه له انتقادات عدّة، منها: أنه ثمة أصوات عديدة لا تدخل في نطاق الأصوات اللغوية، كالأصوات الطبيعيّة والحيوانيّة وكبعض الأصوات التي تخرج من بين الأسنان، أو من الخيشوم"[٦]؛ لذلك يدعو إلى أن نضيف إلى تعريف ابن جني لفظة الأصوات اللغوية أو الصوت اللغوي، كذلك يرفض اعتبار اللغة أداة للتعبير عن الفكر دائماً، بل يرى أنها قد تكون كذلك إن كان من يستخدمها ذا فكر، فاللغة في رأيه قد تكون تعبيراً عن شعور وعاطفة، وقد يكون منشؤها العاطفة والشعور لا الفكر، هذا تعريف اللغة عند **فريحة** الذي مزج تعريفه بتعريف **ابن جني**؛ ليخلص منهما إلى تعريف أطلق عليه اسم التعريف الجامع المانع. لكنه لم يقف عند تعريف اللغة، بل انتقل للحديث عن تعريف علم اللغة، حيث رأى أنه من العلوم الحديثة التي لم تستقر بعد، ولم تتخذ شكلا معيناً محدداً كما هي الحال في بقية العلوم، وقد مرّ هذا العلم بطورين –بحسب رأيه– ، الأول: انحصرت مواده بعلم اللغة العام، وعلم المقابلات اللغوية، ودرّس التطور الصرفي والنحوي، وأما الطور الثاني: فاشتمل على الحقل الفيزيائي– البيولوجي، والحقل البسيكولوجي –الفلسفي–، والحقل اللغوي الصرف من جهة وصفية بحتة لا من جهة فلسفية، وطرح سؤالاً في غاية الأهمية، ألا

---

[٥] ابن منظورجمال الدين، ***لسان العرب***، مادة لغا، دار صادر، بيروت، ط١، ج١٥، ص٢٥٠-٢٥٢؛ ينظر: مصطفى، إبراهيم، عبد القادر، وآخرون، ***المعجم الوسيط***، دار الدعوة، ط ٢، ١٩٦٠، مادة لغة؛ ابن جني، أبو الفتح عثمان، ***الخصائص***، دار الكتب المصرية، ت: مُحَمَّد علي النجار، ج١، ط٢، ص٣٣.

[٦] فريحة، أنيس، ***نظريات في اللغة***، ص٨.

وهو: هل ثمة علاقة بين اللغة وعلم اللغة؟ ليجيب بقوله: نشأت العلاقة بين الطرفين عندما حاول العلماء إخضاع اللغة للعلم وقوانينه؛ كونها شيء يوصف ويحدُّ ويقيد ويخضع للمختبر[٧].

ويرى الدكتور **سليمان بن إبراهيم العايد** أنه لا يمكن لباحث أن يحيط بما كُتب عن علم اللغة –لا سيما– العام منه؛ لأن كتبه كثيرة، ومصنفاته وافرة، ومقالاته منتشرة، وأبحاثه ذائعة مشتهرة، ومتابعة الجديد منه ليس بالأمر الهين السهل، لكنه – كغيره من العلوم– تتعين الإحاطة بأصوله، ومعرفة مقاصده، وقد رأى العايد أنه "علم حديث النشأة، قريب التكوين، لم تستو سوقه بعد، ومازال أصحابه يختلفون في أصوله ومقوماته، وأسسه وحقائقه، وأهدافه وغاياته، وفروعه ومسائله"[٨].

أما **مُحَمَّد عبد الرضي قدوح** الذي حاول في كتابه "أبحاث في علم اللغة واللسانيات" أن يوضح صورة هذين المصطلحين في ذهن المتلقي، فإنه يرى أن علم اللغة في المرحلة الراهنة علم قائم بحد ذاته، متكامل المفهوم والموضوع. يعدُّ من أكثر العلوم تعقيداً، فهو متشابك ومترابط بالعلوم الأخرى، إنه علم حول اللغة وطبيعتها الاجتماعية ووظائفها المتعددة، وحول بنائها الداخلي وقوانين تطورها التاريخي[٩].

نظرة العرب القدامى لعلم اللغة (علوم اللسان)

لن نقف مطولا عند مفهوم اللغة وعلم اللغة لدى العرب الأوائل، بل سنكتفي بذكر إشارات سريعة، توضح للمتلقي نظرة العرب الأوائل لهذا العلم؛ والسبب الذي يدفعنا إلى هذا تقديم لمحة موجزة سريعة ، هو أننا لو وقفنا على هذا الأمر، فإن الدراسة ستخرج عن الهدف الذي وضعت له، ألا وهو الفرق بين مصطلحي علم اللغة واللسانيات، لدى علماء المشرق العربي ومغربه.

وللحديث عن نشأة وبدايات هذا العلم عند العرب الأوائل، نبدأ بما قاله الدكتور **فؤاد سزكين**، فقد ذكر في دراساته التي أعدّها في علم اللغة، أنه ليس بين أيدينا دلائل ملموسة على اشتغال العرب اشتغالاً ما قبل الإسلام بالبحث في معاني الألفاظ التي عرفت فيما بعد "بعلم اللغة" عند العرب، ويرى أن بدايات هذا العلم كانت مع المحاولات الأولى من بعض الصحابة لتفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم، إضافة إلى بعض المحاولات التي ظهرت فيما بعد لتفسير بعض الألفاظ التي وردت في بعض الأبيات الشعرية التي تعود إلى العصر الجاهلي[١٠]، من هنا بدأ يتشكل لدى العرب الأوائل علماً يُعنى بدراسة الألفاظ ودلالاتها، وهو ما يعادل علم اللغة اليوم، والأدلة على ما ذهب إليه **سزكين** كثيرة ومتنوعة، من أهمها:

١– وضع العرب الأوائل كتباً تعنى بشرح الألفاظ وإزالة غريبها، نحو: كتب الأمثال والنوادر وغريب القرآن وغريب الحديث وغيرها[١١].

٢– محاولات بعض المسلمين وضع معاجم تعنى بشرح معاني الألفاظ المشكلة، وقد كان معظمها يأخذ شكل قالب القصائد التعليمية؛

٣– شعور العرب المبكر بالحاجة إلى التفرقة بين الفصيح ومختلف اللهجات[١٢].

---

[٧] فريحة، أنيس، ***نظريات في اللغة***، ص٣٤– ٣٨ ٣٩.

[٨] العايد، سليمان بن إبراهيم، ***أسس علم اللغة العام وتطبيقاته على اللغة العربية***، نادي مكة الثقافي الأدبي، مكة، ١٤٢٣هـ، دون ط، ص٤.

[٩] قدوح، مُحَمَّد عبدالرضي، ***أبحاث في اللسانيات وعلم اللغة***، مجلة الإكليل، اليمن، صنعاء، ع٢، ١٩٨٩، (١٨٦–١٩٣)، ص١٨٦.

[١٠] سزكين، فؤاد، ***تاريخ التراث العربي "علم اللغة"***، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، الرياض، ١٩٨٨، ط١، ص١٣–١٦.

[١١] سزكين، فؤاد، ***تاريخ التراث العربي "علم اللغة"***، ص١٧– ١٣.

وإذا ما أبحرنا قليلاً في الدراسات التي قدمها العلماء العرب الأوائل بعد الحقبة الأولى من عنايتهم بالألفاظ، سنجد أنهم اتجهوا للعناية بلفظة اللغة، فعرّفوها وتحدثوا عن نشأتها، وضروب اشتقاقها، وكان أكثرها دقة وتفصيلاً تعريف **ابن جني** الذي قال في تعريفها: "أما حدُّها (فإنها أصوات) يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"١٣، وكذلك تحدث **ابن خلدون** في مقدمته عن اللغة معرِّفاً إياها تحت فصل بعنوان (في علوم اللسان العربي) فقال في تعريفها: "اِعلمْ أن اللغة في المتعارف، هي: عبارة المتكلم عن مقصده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئةٌ عن القصد لأداة الكلام. فلا بُدَّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان. وفي كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني"١٤، كما يشير إلى أن علم اللغة جاء لبيان الموضوعات اللغوية بعد فساد ملكة اللسان العربي١٥. كما ذكر **ابن الحاجب** اللغة في مختصره بقوله: "حدُّ اللغة كلُّ لفظٍ وُضِعَ لمعنى"١٦.وقد قصد باللفظ كل المفرد والمركب معاً، إذ تنطبق اللغة على الجميع. كما ذكر **ابن فارس** في كتابه الصاحبي في اللغة، وذلك في معرض حديثه عن اللغة في باب: "القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح" ١٧. كما ذكر **السكاكي** في مقدمة كتابه مفتاح العلوم لفظة اللغة قائلاً عنها: "وقد ضَمَّنتُ كِتابي هذا من أنواع الأدب، دون اللغة، ما رأيته لابُدَّ منه" ١٨ غير أن البعض الآخر كان قد ضمَّن اللغة لعلوم الأدب وبالتالي نرى اضطراباً في فهم هذه اللفظة.

وهنا نطرح سؤالاً، هل ظهرت لفظة "علم اللغة" لدى اللغويين العرب الأوائل بحرفيتها؟ الجواب، نعم، ظهرت وقد عنوا بها العلم الذي يدرس اللفظ وبيان أنواعه ودلالاته، وذلك لأن اللفظ تتركب منه لغة التخاطب، ويترتب على الجهل به من حصول الاشتباه والغموض، وعدم معرفة مراد المتكلم بكلامه[١٩]. إضافة إلى ذلك أنهم كانوا يطلقون على بعض علمائهم تسمية "انتهى إليه علم اللغة" ومن أهم هؤلاء العلماء **مُحَمَّد بن زياد الأعرابي**. ولا بد لنا من أن نشير أن لفظة "فقه اللغة" كانت أكثر شيوعاً عند علماء اللغة الأوائل، مع العلم أنهم أرادوا بها ما أرادوا "بعلم اللغة"، فجعلوها "وعلم اللغة" شيئاً واحداً، من باب الترادف، حتى إن بعض المحدثين رفض تسميته "بعلم اللغة" واستمسك بالتسمية القديمة "فقه اللغة". لكنّ المحدثين من علماء اللغويات العرب، فرّقوا بينهما، فقد عدّوا "علم اللغة" علما يدرس اللغة من أجل ذاتها، أما فقه اللغة، فإنه يدرس "اللغة بوصفها وسيلة لغاية أخرى كدراسة ثقافة أمة وآدابها وحضاراتها[٢٠].

هكذا يمكننا القول: إننا قد أشرنا إلى بدايات هذا العلم عند العرب الأوائل، وما أرادوه به، وعليه نكون بيّنا بصورة عامة نظرة اللغويين العرب الأوائل لهذا العلم، أما الآن فإننا سننتقل للحديث عن مصطلح "علم اللغة" عند لغوي المشرق العربي.

علم اللغة في منظور اللغويين العرب المشارقة

---

[١٢] فيسر، أ، ***المعجم اللغوي التاريخي***، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٧، ط١، ص٤-٥.

[١٣] ابن جني، أبو الفتح عثمان، ***الخصائص***، دار الكتب المصرية، القاهرة، ت: مُحَمَّد علي النجار، ج١، ط٢، ص٣٣.

[١٤] ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن مُحَمَّد، ***مقدمة ابن خلدون***، ت: عبد الله مُحَمَّد الدرويش، دار يعرب، ٢٠٠٤، ج ١، ط ١، ص٣٦٧.

[١٥] المصدر السابق، ص٣٧٠.

[١٦] السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، ***رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب***، ت: الشيخ علي مُحَمَّد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، ج١، بدون ط، ص٣٤٩.

[١٧] ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ***الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها***، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،١٩٩٧، ط١٣،١.

[١٨] السكاكي، أبو يعقوب بن يوسف بن مُحَمَّد بن علي، ***مفتاح العلوم***، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،٢٠٠٠، ط١، ص٣٧.

[١٩] العمرو، آمال بنت عبد العزيز، ***الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية***، ص٤٦.

[٢٠] بلبشير، لحسن، ***الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة***، مجلة النداب واللغات، الجزائر، ع ٨، ٢٠٠٩،(٩-٢٦)، ص٩.

تختلف نظرة المشارقة العرب لمصطلح علم اللغة،"فهذا العلم لايزال غريباً على جمهور المتخصصين في المسائل اللغوية، المنقطعين له، المنصرفين إليه. فهم يفهمون من دراسة اللغة، دراسة النحو، والصرف، أو الاشتقاق ومعرفة الشواذ النادرة، وحواشي الكلام، وتمييز الفصيح من غير الفصيح، ومعرفة معاني الكلمات، وتمييز الدخيل من الأصيل، أو الاشتغال بتأليف المعجمات أو غير ذلك مما لا تدعو الحاجة إلى استقصائه" ٢١، غير أن هذا الفهم لا يعدو أن يشابه الفهم العربي القديم له، مع العلم أن هذا العلم بتسميته الحديثة المعاصرة المعروفة بـ (علم اللغة) قد جاء من الغرب، وبالتالي بقي بعض اللغويون العرب ولا سيما في المشرق العربي على الفهم القديم له، وانطلاقاً من ذلك شبه الدكتور "**محمود السعران**" علم اللغة الحديث بالنسبة لعلم اللغة القديم من حيث الفهم، كعلم الطبيعة أو الكيمياء أو الفلك أو الرياضيات بالقياس إلى نظائرها عند اليونان مثلاً، فعلم اللغة الجديد هو تطور لعلم اللغة القديم، وإكمال للمسيرة التي بدأتْ منذ القديم، فلم يأتِ هذا العلم للقضاء على علم اللغة القديم، وإنما جاء ليؤرخ له، وما يزال يستوحيه ويستهديه٢٢.

غير أن بعض المشتغلين بالدراسات اللغوية، يرفض النظر في هذا العلم الجديد، ولا يحاول تفهمه، بل إن بعضهم يَعدُّ علم اللغة أو بعض فروعه، كعلم الأصوات اللغوية، إذ يعتبره ترفاً علميًّاً لما يَجِنِ الوقت للانغماس فيه أو التطلع إليه.

ومع ذلك نجد بعض الدراسين لهذا العلم قد بدؤوا بتفهمه، ووضع تعريفات له، تتناسب مع لغتنا العربية، فمن غير المعقول أن ندرس هذا العلم لمجرد مجيئه من الغرب أو لكونه علماً حديثاً فقط، بل إن الغاية الأولى من دراستنا لهذا العلم هي خدمة اللغة العربية وحفظها، وفيما يلي تفصيل لنظرة علماء المشرق العربي لهذا العلم:

يرى **علي عبد الواحد وافي** أن هذا العلم يبحث في نشأة اللغة الإنسانيّة، والأشكال الأولى التي ظهر فيها التعبير، والأدوار التي اجتازها حتى وصل إلى مرحلة الأصوات ذات الدلالات الوضعية، والأسس التي سار عليها الإنسان، والنماذج التي احتذاها في وضع الكلمات، وفي تعيين مدلولاتها، ونشأة مراكز اللغة في النوع الإنساني، وما إلى ذلك من البحوث التي تعالج اللغة في أدوار نشأتها الأولى. كما يبحث في حياة اللغة، وما يطرأ عليها من غنى وفقر وسعة وضيق، وعظمة وما إلى غير ذلك، ويُطلِق عليها اسم (حياة اللغة)، ويبيِّنَ **وافي** أن هذا العلم يدرس الأصوات التي تتألف منها اللغة، وأقسامها، وفصائلها، وخواص كل قسم منها، ومخارجه وغير ذلك، ويطلق عليه اسم (علم الأصوات)، كما يرى أن هذا العلم اتجه لدراسة اللغة من حيث دلالتها، ويطلق عليه اسم (علم الدلالة)، ولا يقف عند هذا الحد، بل يبحثُ في الأصولِ التي جاءتْ منها الكلماتُ في لغةٍ ما، كأن يبحث عن الأصول التي جاءت منها كل كلمة من الكلمات الفرنسية، ويطلق على هذا العلم اسم (أصول الكلمات)، ثم يتجه إلى البحث في الأوضاع الاجتماعية، والعلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وغير ذلك .كما يبحث في الفيلولوجيا، وهو بحث غير محدد النطاق ولا متميز الحدود، وعليه نجد أن **علي عبد الواحد** قد ضمّن جميع العناوين التي تقدم ذكرها لكتابه الذي جاء تحت عنوان (علم اللغة)، واقتصر على ذكر مصطلح علم اللغة دون غيره من المصطلحات، إذ يقول في ذلك: وقد اخترنا هذا الاسم لكتابنا؛ لأن موضوعاته ستكون شاملة لجميع البحوث التي تدخل تحت علم اللغة، وألمح معترضاً في أكثر من مكان إلى أن بعض المؤلفين العرب، قد طرحوا هذه البحوث نفسها تحت مسمى (فقه اللغة)، وهذا لا يتناسب مع الغرض الفذ الأساسي الذي وُجِد من أجله هذا العلم، ألا وهو الكشف عن القوانين التي تخضع لها اللغة في جميع نواحيها، كقوانين نشأتها وأدائها لوظائفها، وعلاقاتها المتبادلة، وعلاقاتها بغيرها، فهذا العلم لا يُعرض لمجرد وصف وسرد الحقائق التاريخية للظواهر اللغوية والوظائف التي تؤديها والعلاقات التي تربطها ببعضها، ولكن غايته كشف القوانين الخاضعة لها هذه الظواهر، غير أنه عاد **وذكّر**

---

٢١ السعران، محمود، ***علم اللغة مقدمة للقارئ العربي***، دار النهضة العربية، بيروت، دون ط، دون ت، ص٢١.

٢٢ المصدر السابق، ص٢٢.

بأن علم اللغة لا يخوض في نشأة اللغة كثيراً، وأشار إلى أن بعض اللغويين ذكروا أن الحديث عن نشأة اللغة ليس من وظائف علم اللغة، بل هو من وظائف البحوث الفلسفية الميتافيزيقية[٢٣].

أمَّا **محمود السعران** فقد عرّف علم اللغة بأنه: العلم الذي يتخذ من (اللغة) موضوعاً له، ويرى أن علم اللغة لا يختص بدراسة لغة بعينها، بل هو علم يستقي مادته من النظر في اللغات المختلفة على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تسلك اللغات جميعاً في عقد واحدٍ. وما كان لعلم اللغة أن يظهر على الصورة الحديثة التي ظهر بها، لو لم تسبقه تلك الدراسات التفصيلية الكثيرة لمعظم لغات البشر. وذهب **السعران** إلى أن دراسة اللغة قد غدت علماً من العلوم، له ما لأي علم مستقل، من موضوع، ومناهج، ووسائل، كما وسع علم اللغة من مجال الدراسات اللغوية، بإخضاعه مسائل جديدة للبحث، كتفصيله البحث في مسائل لم يكن يُفَصِّلُ فيها القدماء. كما بَيَّنَ أن بعض القوانين اللغوية يتصف بشيء من الصدق والعموم أكثر مما تتصف به القوانين الصوتية. ونظر إلى علم اللغة على أنه علم قد تكوَّنَ؛ ولكنه ما يزال يتطور التطور اللازم لنضجه. كما رأى أن الدراسة الجديدة للغة ما تزال وقفاً على المتخصصين فيها وعلى القلة من مريديهم، كما يرى أن أغلبية المشتغلين بالمسائل اللغوية، ما يزالون يجهلون أن ثمة نشاطاً (علميًّا) جديداً يتخذ اللغة موضوعاً له. كما ذهب إلى أن علم اللغة يسعى للكشف عن الكيفية التي يجب أن يكون عليها الكلام وعن الكيفية التي (يحسن) بها، وختمَ حديثه عنها بإشارته إلى أن إجادة عدد كبير من اللغات ليست غاية علم اللغة[٢٤] .

وفي الإطار ذاته ذهب **محمود فهمي حجازي** إلى أنَّ الدراسات اللغوية موضوعية وليست انطباعية ذاتية، وقد أدت هذه الموضوعية المنشودة إلى استقرار كثير من الحقائق، وتكوّن كثير من المناهج، وخلق مناخ علمي يتيح لدى اللغويين المتخصصين في مختلف اللغات درجة عالية من التعاون وتبادل الخبرة. وبيَّنَ أن لعلم اللغة الحديث مجالات يدرس من خلالها بنية اللغة من جانب الأصوات، وبناء الكلمة، والجملة، والدلالة. كما أشار إلى أن علم اللغة عرف منذ نشأته في القرن التاسع عشر إلى اليوم عدة مناهج وهي: علم اللغة المقارن، وعلم اللغة الوصفي، وعلم اللغة التاريخي، وعلم اللغة التقابلي. وختم حديثه عن علم اللغة بقوله: إن هدف علم اللغة العام: هو تطوير النظرية العامة للغة والوسائل الدقيقة لتحليل الأصوات والكلمات والجمل والدلالة، إضافة إلى بيان العلاقة بين علم اللغة والعلوم الإنسانية الأخرى[٢٥].

ولم تختلف نظرة **حاتم ضامن الصالح** إلى علم اللغة —بمسمّاه الحديث– عن سابقيه، غير أنه أضاف أن هذا العلم يهدف إلى إيضاح الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللغة، ويحاول إيضاح عوامل انتشار اللغات وموتها، وعوامل التجديد اللغوي، ويهتم أيضاً ببيان العلاقة بين علم اللغة والعلوم الإنسانية الأخرى، كعلم الاجتماع، وعلم النفس وغيرهما .كما أشار إلى أن علم اللغة الحديث يدرس بنية اللغة من جوانب الأصوات، وبناء الكلمة (الصرف)، وبناء الجملة (النحو)، والمفردات و دلالتها (علم المعنى)، ويضم علم اللغة العام كل فروع البحث اللغوي التي تزودنا بالمفاهيم الأساسية والنظريات والمناهج، ويعنى بالبحوث التاريخية والمقارنة والبحوث اللهجية والتطبيقية. ويرى أنه لا فرق بين مصطلحي علم اللغة العام وعلم اللغة[٢٦] .

وشدّد **رمضان عبد التواب** على أن موضوع علم اللغة هو كل النشاط اللغوي للإنسان في الماضي والحاضر، واللغة التي يبحث فيها هذا العلم ليست اللغة العربية أو الإنجليزية أو الألمانية، وإنما هي اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها. فعلم اللغة يستقي

---

[٢٣] وافي، علي عبد الواحد، ***علم اللغة***، دار نهضة مصر، ط٩، ٢٠٠٤، ص٦-١٧.

[٢٤] السعران، محمود، ***علم اللغة مقدمة للقارئ العربي***، ص١١-٥١.

[٢٥] حجازي، محمود فهمي، ***مدخل إلى علم اللغة***، دار قباء، القاهرة، دون ط، دون ت، ص١٧-٢٦.

[٢٦] الضامن، حاتم صالح، ***علم اللغة***، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص٣٠-٣١.

مادته من النظر في اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص، التي تَجمَعُ اللغات الإنسانية كلها، في إطار واحد. ويرى **عبد التواب** أنه من واجبات الباحث أن يدرس اللغة كما هي، فليس له أن يغير من طبيعتها، شأنه في ذلك شأن الباحث في أي علم من العلوم، فليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسنا إياها، وينحي جوانب أخرى، استهجانا لها، أو استخفافا بها. ويرى أن دراسة علم اللغة لا ترمي إلى أغراض عملية، فالباحث اللغوي يدرس اللغة لغرض الدراسة نفسها، فهو يدرسها دراسة موضوعية، تستهدف الكشف عن حقيقتها، فليس من موضوع دراسته، أن يحقق أغراضا تربوية مثلا، أو أية أغراض عملية أخرى، فهو لا يدرسها بغرض الارتقاء بها مثلا، أو تصحيح جوانب منها، أو القضاء على عوج فيها، فإن عمله يجب أن يقتصر على وصفها وتحليلها، بطريقة موضوعية. وحدد مجالات علم اللغة، بما يلي:

دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة.

دراسة البنية (علم الصرف).

دراسة نظام الجملة (علم النحو) .

دراسة الألفاظ (علم الدلالة).

البحث في نشأة اللغة الإنسانية [٢٧].

أما **عبدالصبور شاهين**، فقد عدَّ ظهور علم اللغة في العالم العربي وورواجه "مخرجاً من الحائط المسدود الذي وقفت عنده دراسات النحو والصرف واللغة منذ زمن بعيد"[٢٨]، فالاتجاهات الجديدة في هذا العلم دعت إلى تصحيح ما شاع من أفكار تقليدية قد تكون ملتبسة بالخطأ، أو معقدة تحتاج إلى تبسيط على أساس منهجي يناسب العصر. و رأى أن علم اللغة تنطوي تحته مصطلحات عدة دالة على المواد التي يدرسها المتخصصون فيها. كعلم الأصوات العام، وعلم الأصوات التشكيلي، وعلم الدلالة. و بَيَّنَ أن العديد من المعاني أو التسميات أُطلِقَتْ على المصطلح الأجنبي Lingnistique، ومن هذه المعاني: الدراسة المقارنة والتاريخية للغات ، كالنحو المقارن، والفيلولوجيا المقارنة[٢٩].

خلاصة رؤية علماء المشرق العربي من "علم اللغة"

إن المستقصي لجميع كتب علم اللغة على اختلاف مسمياته، يرى أن هذه الكتب في معظمها ينقل بعضها عن بعض بإشارة أحياناً، وبإهمال الإشارات أحياناً أخرى، وبالتالي فإن الرجوع إليها جميعاً فيه مشقة ومضيعة للوقت، وإنما يكفينا منها أصولها، أما الكتب الناقلة فلا غناء فيها. وقد كثرت كتب علم اللغة وفي غالبيتها كتب جامعية غاياتها إفهام هذا العلم للمتعلمين، وقد حاول مؤلفوها تبسيط هذا العلم، وتقديمه للمتعلم العربي بصورة مستساغة ،غير أنها لا تخرج عن كونها مترجمة عن أصول أوربية انجليزية أو فرنسية، وبعد البحث والاستقصاء فيها ، وبعد طرح نماذجٍ منها تقدم الحديث عنها، نجد أن فهم اللغويين المشارقة لها جاء على الشكل الآتي:

رأى اللغويون من المشرق العربي أن علم اللغة بتسمياته المتعددة والمتشعبة ،يسعى إلى دراسة اللغة دراسة علمية موضوعية وليست انطباعية ذاتية، مُتَخِذاً من اللغة موضوعاً له و مُستقياً مادته منها ، فهو لم يدرس لغة معينة دون غيرها من اللغات، كما

---

[٢٧] عبدالتواب،رمضان، ***المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي***، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ط٣، ص٧-١٢.

[٢٨] شاهين، عبدالصبور، ***في علم اللغة العام***، مؤسسة الرسالة،١٩٩٣، ط٦،ص٣.

[٢٩] المصدر السابق، ص٧.

أنه ساهم في توسيع الدراسات اللغوية، وأخضع مسائلَ عدة للبحث لم تكن مطروحة على طاولة البحث، وفَصَّلَ الكلام في مسائل لم يُفَصَّلْ فيها من قبل، واهتمَّ ببيان العلاقة بين علم اللغة والعلوم الإنسانية الأخرى، وإيضاح الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللغة وعوامل انتشارها وموتها وعوامل تجديدها. ورأى العديد من اللغويين أن بعض قوانين علم اللغة تتصف بالدقة والصدق والعموم، كما أكَّدوا على أنه علم ما يزال في طور النمو، وأن سوقه لم تستو بعد، وما زال أصحابه يختلفون في أصوله ومقوماته وأسسه وحقائقه وأهدافه وغاياته وفروعه ومسائله، وأن المشتغلين في هذا العلم هم المتخصصون فقط، وبَيَّنوا أنَّ هذا العلم يسعى للكشف عن الكيفية التي يجب أن يكون الكلام عليها، وأن إجادة عدد كبير من اللغات ليست غاية هذا العلم، بل إن ما يسمو إليه هو النشاط اللغوي للإنسان في الماضي والحاضر.

كما أكدوا أن هذا العلم الحديث يدرس بنية اللغة من خلال جوانبَ عديدة، منها: جانب الأصوات، وبناء الكلمة (الصرف)، وبناء الجملة (النحو)، والمفردات ودلالتها (علم المعنى). كما بينوا أن هذا العلم عرف العديد من المناهج منها: علم اللغة المقارن، وعلم اللغة التاريخي، وعلم اللغة التقابلي، وعلم اللغة الوصفي .

وقد رأى بعض اللغويين أنه لا فرق بين مصطلح علم اللغة وعلم اللغة العام ،و رأى بعض آخر أنه لا ضَيرَ إن درس هذا العلم نشأة اللغة، في حين رفض بعض آخر ذلك وعدَّهُ من اختصاص البحوث الفلسفية الميتافيزيقية .

اللسانيات في منظور اللسانيين العرب المغاربة

قبل الخوض في غمار الحديث عن نظرة المختصين في ميدان البحث اللساني من علماء المغرب العربي بدوله المتعددة، علينا أن نوضح المصطلح المستخدم أو المتداول في المغربي العربي عند حديثهم عن علم اللغة، فهم يتداولون عددا من المصطلحات تختلف عن المصطلحات المتداولة في المشرق العربي، فما هي المصطلحات المتداولة لديهم ؟

هناك العديد من المصطلحات التي تعبر عن هذا العلم لدى اللسانيين المغاربة، منها: اللسانيات، وعلم اللسان، والألسنة، ولسانيات، والألسن، بهذه المصطلحات المتعددة والمتنوعة يعرف لسانيو المغرب العربي (علم اللغة)، وقد سار على نهجهم عدد من اللغويين المشارقة وإن كانوا قليلي العدد، من أمثال الأستاذ **الدكتور أحمد قدور** اللغوي السوري المعروف عندما فضل إطلاق اسم ((مبادئ اللسانيات))على كتابه الذي ألّفه في هذا المجال، ونحن سنختار أكثر المصطلحات انتشاراً، وسنتحدث عنه، وهو اللسانيات.

تعريف اللسانيات

تعددت التعاريف لهذا العلم واختلفت وتشعبت، غير أنه من المفارقات العجيبة التي صادفناها في أثناء دراستنا هذه، أننا وجدنا **الدكتور أحمد قدور** أفضل من عرف اللسانيات بشكل واضح للعيان، مع العلم أنه سوريٌّ ومحسوبُ على المشارقة من اللغويين، فبدأنا بتعريفه للسانيات، وقد عرفها بقوله:

اللسانيات (Linguistique) هي العلم الذي درس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية[٣٠]. وعرّف **عبدالسلام المسدي** اللسانيات بأنها: علم موضوعه اللغة، تنبذ كل موقف معياري من اللغة، وهي تمسك عن إصدار الأحكام وعن التقييم سواء أكان مدحاً أو تهجيناً، وهي تعرف الظاهرة اللغوية

[٣٠] قدور، أحمد، ***مبادئ اللسانيات***، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨، ط٣، ص١٥.

أكثر مما تعرف نفسها، و تنشد منزلة العلم الكلي في تقرير حالة الظاهرة اللغوية. ولا تنفي علم النحو، ولا تنقصه، بل إن وجودها متوقف قطعاً على وجوده. وقد قامت على أساس الشمول المعرفي[٣١].

أما **خولة إبراهيم** فقد ذهبت إلى أن اللسانيات تتمثل في "الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري، أي دراسة تلك الظاهرة العامة والمشتركة بين البشر والجديرة بالاهتمام، والدراسة بغضّ النظر عن كل الاعتبارات الأخرى التي لا تُعدُّ من صلب اهتمام اللسانيين. وترى أن اللسانيات تختص بجوانب ثانوية للسان بحكمة ظاهرة معقدة ومركبة يمكن أن تتناول من زوايا عديدة،اجتماعية نفسية، فيزيولوجية الأعضاء، وعلم الصوت الفيزيائي"[٣٢].

كما رأى **محمد يونس علي** أن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة تمييزاً لها عن الجهود الفردية، والخواطر، والملاحظات التي كان يقوم بها المهتمون عبر العصور[٣٣]. هذه بعض التعاريف التي تحدثت عن اللسانيات و عرفتها ، أما الآن فإننا سننتقل للحديث عن نظرة علماء اللسانيات في المغرب العربي إلى هذا العلم:

اختلاف الينابيع أدى إلى اختلاف المصطلح

نحن أمام مزيج من أفكار وتصورات، يشعرُ القارئُ، وكأنها غير مضبوطة حول تصور علمائنا في المغرب العربي لهذا العلم أي (السانيات) حتى شعرنا في أثناء البحث، أننا قد دخلنا متاهة يصعب الخروج منها، غير أننا استطعنا —في نهاية البحث– الإحاطة –إلى حد بعيد– بأهم نقاط الدراسة، وقد فضلنا أن نبدأ بنظرة الدكتور **عبدالسالم المسدي** لهذا العلم.

عرض عبدالسلام المسدي في كتابه "قاموس اللسانيات" أكثر من **أربعة وثلاثين** مصطلحاً لعلم يكاد يكون غريباً عند أهل الضاد –بحسب رأيه–، فقد رأى أنه لا معنى للبحث اللساني ما لم نستنبط نظام اللغة عن طريق استخراج مؤسستها النحوية، فالنحو قائم على (مايجب أن يكون) واللسانيات قائمة على (ما هو كائن)، فاللسانيات إقرار للنحو، وتجاوز له في نفس الوقت ،ورأى المسدي أن اللسانيات مَدِينَةٌ بِعِلةِ وجودها للمنهج، أكثر مما هي مدينة للموضوع، فاللسانيات برأيه توخت المسار المنهجي منذ اكتسابها الشرعية المعرفية[٣٤].

وقد رأى المسدي أن للسانيات أدواراً مهمة، منها: أنها قامت على مبدأ الشمول المعرفي، و دك حواجز الاختصاصات كافة، كما اقتحمت حوزة الاكتساب: سواء ما اتصل منها باللغة ذاتها أو ما ارتبط بالمعرفة والإدراك جملة، كما كان لها دور كبير في تعليم اللغات –ولا سيَّما– عند تعليم اللغة لغير الناطقين بها، ورأى أنه من الواجب على معلم اللغات أن يستنير بما تمده به اللسانيات من معارف علمية حول طبيعة الظاهرة اللغوية[٣٥].

ويرى أن اللسانيات قد غدت علماً كونياً ذا مضمون معرفي يتجاوز حدود الأقوام، وضفاف الربوع. ويدعو **المسدي** إلى إدخال مفاهيم اللسانيات مع مفاهيم التراث؛ لأن ذلك سيولدُّ جدلاً خصيباً يُخرِجُ لنا ثمارا مفهومة جديدة وحصيلة معرفية متفردة، معرفية ليست مُشَوِّهةٌ للتراث ولا هي صورة مُنسَلِخة من اللسانيات، ثم تحدّث عن عقبات البحث اللساني في عالمنا العربي، و رأى أنها تتمثل بـ:

---

[٣١] المسدي،عبدالسلام، ***اللسانيات وأسسها المعرفية***، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦، دون ط، ص١٣.

[٣٢] الإبراهيمي، خولة طالب، ***مبادئ اللسانيات***، دار القصبة، الجزائر، ٢٠٠٦، ط٢، ص٩.

[٣٣] علي، محمد محمد علي، ***مدخل إلى اللسانيات***، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، بيروت،٢٠٠٤، ط١، ص٩.

[٣٤] المسدي، عبد السلام، ***قاموس اللسانيات***، ص٧٢-٧٥.

[٣٥] المسدي ، عبدالسلام، ***اللسانيات وأسسها المعرفية***، ص١١-١٤.

– الاعتقاد السائد لدى الكثير من العلماء العرب باكتمال علوم اللغة عندهم.

– عدم تيسر الاطلاع على حقائق علوم اللسان في العصر الحديث .

– معركة الوصفية والمعيارية في المعرفة اللغوية، فاللسانيات تنبذ كلَّ موقف معياري من اللغة، فهي تمسك عن إصدار الأحكام وعن التقييم سواء ما كان منه في ذلك مدحاً أو تهجيناً.

– الظن بأن اللسانيات تستمدُّ طرافتها و ربما شرعيتها من عكوفها على دراسة اللهجات.

– إعراض اللسانيين العرب عن متابعة ما يكتبه أقرانهم باللغة العربية، واتجاه البعض منهم إلى متابعة ما يكتب باللغة الإنجليزية والفرنسية بل والكتابة بلغة أجنبية، فالكتابة باللغة الأجنبية وإن حققت غاياتها العلمية، فإنها تزكي وضعية التأخر[٣٦] .

ويخلُص المسدي إلى أن كل الألسنة البشرية مادامت متداولة فإنها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية إيجاباً ولا سلباً، وإنما هو مأخوذ في معنى أنها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتراكيب من جهة ثم في الدلالة على وجه الخصوص، ولكن هذا التغيير هو من البطء بحيث يخفى عن الحس الفردي المباشر، فالألسنة البشرية لا تتوقف عن التغير إلا إذا انقطعت، فعدت ميتة تدرس كحقائق تاريخية، ويشير إلى نقطة في غاية الأهمية ألا وهي أن اختلاف الينابيع التي ينهل منها علماء العرب كانت السبب الأساس في تعقد اتفاقهم على تسمية محددة لهذا العلم، ويذهب إلى أن هذا الجدل في المصطلحات قلما يخلص كليا لخدمة المعرفة ونصرة العلم.

اللسانيات بين المعاصرة والأصالة

تبنى الدكتور **عبد الرحمن الحاج صالح** مصطلح (علم السان) وقد فضله على المصطلحات التي ظهرت عند العرب في العصر الحديث، كمصطلح فقه اللغة، وعلم اللغة، واللسانيات، والألسنية، واللسنيات، و اللغويات الحديثة، والدراسات القديمة. وفضل كلمة(اللسان) على لفظة (اللغة) لعدة أسباب، منها:

– لأن المفهوم العام الذي عرف للفظ اللغة ما عرف في الحقيقة إلا بعد نهاية القرن الثاني الهجري، وأن الأصل في الدلالة عليه هو ما استعمله القرآن الكريم ،قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(٤) إبراهيم، ﴿هَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٠٣) النحل، ولأن لفظة اللغة كانت تطلق عند النحاة واللغويين على معان عدّة، زيادة على ما يفهم من تحديد ابن جني لها، وهو اللسان بوجه عام .

– لأن النحاة وغيرهم من العلماء يطلقون على مفهوم الدراسة العلمية لظاهرة اللسان عموما لفظَ (علم اللسان)[٣٧] .

وعليه فإننا نرى أن الذي دفع **الحاج صالح** إلى تبني مصطلح اللسان أو علم اللسان هو تفضيله للتراث العربي القديم على المصطلحات المستوردة أو المأخوذة من الغرب، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما رأى أن الغرب أخذوا أصل هذا العلم من

[٣٦] المسدي، عبدالسلام، ***اللسانيات وأسسها المعرفية***، ص ١١-١٧.

[٣٧] ميلود، منصوري، ***الفكر اللساني عند الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات***، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير، بسكرة، ع٧، ٢٠٠٥، ص٣-٤.

العرب المسلمين، وبالتحديد من الفارابي، فالفارابي تحدث عن هذا العلم في كتابه (إحصاء العلوم)، فعرفه وقسمه[٣٨]، وهذا يدل على أن الرجل سبق الكثير من العلماء في حديثه عنه.

وعقب **الحاج صالح** على كلام دي سوسور عن اللسان و الكلام بقوله: "ويجب أن نلاحظ أيضاً أن النحاة العرب كانوا يعبرون عن هذين المفهومين لا باللسان أو اللغة في مقابل الكلام بل بكلمة وضع في مقابل الاستعمال أو التأدية أو الأداء، وهم أول من بيَّن الفروق بينهما، وكانوا بنوا جميع تحليلاتهم عليها "[٣٩].

اللسانيات قائمة على وضوح المنطلقات والتبليغ

اتخذت **خولة إبراهيم** من تعريف فرديناند دي سوسور منطلقاً لها في حديثها عن اللسانيات، فرأت أن اللسانيات الحديثة تغلب عليها نزعتان: النزعة الحسية النقلية التي تعتمد على المشاهدة، والاستقراء، ومعاينة الأحداث، وتصنيفها؛ لاستنباط القوانين، والنزعة العقلية الافتراضية الاستنتاجية التي تنطلق من مسلمة معينة، ثم تولد عنها مجموعة من القواعد، تستنتجها بفعل عمليات معينة .كما ترى أن هذا العلم ينظر إلى اللسان نظرة كلية، كما ترى أن الوظيفية الأساسية لهذا العالم هي التبليغ [٤٠].

فيما يؤكد **مصطفى غطفان** على أن اللسانيات برزت كمعرفة جديدة في الفكر الإنساني الحديث، وهو ما لا يعني مطلقاً أن البحث في اللغة بحث جديد. وإنما هو قديم قِدَمَ اللغة البشرية نفسها. وأكد أنه من الصعب الحديث بدقة عن تاريخ ظهور اللسانيات كعلم قائم بذاته، فتاريخ اللسانيات كعلم قائم بذاته، يختلف بحسب وجهة النظر التي قد يتخذها الباحث. ويرى أنه ثمة قطيعة أحدثتها اللسانيات مع الفكر اللغوي القديم، ورأى أن حصر هذه القطيعة يكمن في النقاط التالية:

اللسانيات الحديثة فكر أكثر شمولاً من نظيره القديم، فهي لم تنفصل عنه؛ ولكنها احتوته، ثم عملت على تطويره وتدقيقه. وهي مراجعة دائمة ومستمرة للمفاهيم الجوهرية التي تقوم عليها.

اللسانيات أكثر تفتحاً على علومٍ أخرى كالمنطق، والرياضيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والإحصاء، والإعلاميات وغيرها؛ ولهذا السبب استطاعات اللسانيات أن تفرض نفسها في إطار العلوم الإنسانية كنظرية ومنهج.

ورأى أن اللسانيات الحديثة تخلت عن كثير من الأفكار الفلسفية العقيمة المتعلقة بأصل اللغات، ونشأتها، والمفاضلة بين الألسن .

وقد جاءت اللسانيات بروح نظرية جديدة قائمة على وضوح المنطلقات، والبرهنة، والاستدلال، والصياغة الصورية، وعلى الدقة في أدوات التحليل وتقنياته. ويرى أن اللسانيات الحديثة أحدثت مشكلة كبيرة وقد تمثلت في قضية الأصالة والمعاصرة . ويرى أن هناك رأياً يقول: إن اللسانيات التي أُعتبرت فتحاً كبيراً في الغرب ليست بجديدة علينا، بل بدأت عندنا منذ بداية الفكر اللغوي العربي مع أئمة النحو واللغة أمثال، الخليل وسيبويه و من جاء بعدهم. غير أنه يرى أن هذا الكلام لا يعني أن الأفكار الحديثة التي جاءت بها اللسانيات الحديثة موجودة في تراثنا اللغوي. ويرى أنه ليس هناك تشجيع للثقافة اللغوية العربية على

---

[٣٨] ينظر: الفارابي، أبو نصر، ***إحصاء العلوم***، دار ومكتبة الهلال،١٩٩٦، ط ١، ص١٧-١٨.

[٣٩] المصدر السابق، ص٧.

[٤٠] إبراهيم، خولة، ***مبادئ اللسانيات***.

الاهتمام باللسانيات واقتحام مجالاتها بالعمق المطلوب؛ لأن أصحابها لايؤمنون بالسيرورة التاريخية للمعرفة البشرية. ويرى أنَّ هناك علما جديدا في هذا المجال أي في مجال اللسانيات[٤١].

يرى **مصطفى غلفان** أن أزمة المصطلحات في عالمنا العربي ما زالت قائمة فيما يخص علم اللغة على وجه الخصوص واللسانيات على وجه العموم، فما زال علماء المشرق العربي يتبعون مصطلح علم اللغة أو علم اللغة العام أما المغرب العربي، فإنهم يتبعون تسمية اللسانيات أو علوم اللسان أو الألسنة. ويرى أننا أمام تسميات غير متجانسة تعبر عن مجالات متعددة غير محددة المعالم، ممتدة في فترات زمانية متباينة، وتستعمل دون مقدمات نظرية أو منهجية مضبوطة لتمييز هذه التسمية عن تلك.ويرى أن هذه العبارات التي تدل على النشاط اللغوي في عالمنا العربي بحاجة إلى ضبط وتحديد. ويرى أن علاقة اللسانيات بالنحو علاقة متوترة ومشوشة ومعقدة [٤٢].

كما تحدث **الغلفان** عن المواقف الرافضة للسانيات، القائلة: إن اللسانيات دعوة إلى التفريق نتيجة اهتمامها المشبوه باللهجات العربية، كما أنها ليست إلا لوناً من الترف العلمي الذي يجيء بعد سد الاحتياجات الأساسية الضرورية التي لا تقوم اللغة إلا بها[٤٣]، وقد بين **غلفان** أن سبب رفض العديد من اللغويين للسانيات هو أن مجيء اللسانيات قد قوّض النحو العربي القديم في حضن الثقافة العربية الحديثة، وأسهم في التحامل عليه والتقليل من قيمته التاريخية و المنهجية، وهي محاولة للقضاء على التراث اللغوي العربي[٤٤] .

ورأى أن هناك مأخذ على اللسانيات وعيوب وقعت فيها، والسبب في هذه المآخذ والعيوب، هو: "النقص والقصور اللذين تمت ملاحظتهما في المنهج البنيوي الذي تم اختباره في عدد من حقول المعرفة العربية مثل: النقد والأدب وعلم النفس والتاريخ والفكر الإسلامي و غيرها"[٤٥].

الخاتمة

لا نبالغ إذا قلنا أننا وجدنا صعوبة شديدة في دراسة الفرق بين فهم علم اللغة في المشرق العربي، وعلم اللسانيات في المغرب العربي، ففي بداية بحثنا عن الموضوع اعتقدنا أنّ اللغويين من المغرب العربي يستخدمون التسمية ذاتها في تعريفهم هذا العلمَ، غير أننا وجدنا الاختلاف الأول والأكبر بين القسمين العربيين هو خلاف المصطلحات.

إن هذين المصطلحين (علم اللغة /اللسانيات) يعانيان من أزمة مصطلحات في المشرق العربي ومغربه، وهذه الأزمة تكاد تكون الشاغل الأكبر لأكثر الباحثين في هذا المجال، فالكل يحاول أن يبرهن على أن المصطلح الذي يستخدمه هو الأصح في التعبير عن هذا العلم، فالقارى العربي والمتتبع لهذا العلم يجد نفسه أمام سيل عارم من المصطلحات التي تجاوزت في بعض الأحيان عشرات المصطلحات، ما يجعل القارئ في دوامة من الأسئلة المشروعة عن الفرق بين هذه المصطلحات .

إن المتتبع لمصطلح علم اللغة بكافة تسمياته، قد يفهم من هذا المصطلح أن المقصود به دراسة كل مايتعلق بالبحث اللغوي من جميع جوانبه، أي دراسة اللغة بمعناها العام والشمولي وهذا ما أشار إليه الدكتور علي الوافي في كتابه علم اللغة .

---

[٤١] غلفان، مصطفى، اللسانيات العربية أسئلة المنهج،اللسانيات، دار ورد الأردنية، ط١، ٢٠١٣، ص١٣-١٧.

[٤٢] المصدر السابق،ص ١٣٦-١٤٠.

[٤٣] المصدر السابق،ص١٤٠.

[٤٤] المصدر السابق،ص١٣٣.

[٤٥] المصدر السابق،ص١٣٢.

أما المتتبع لمصطلح علم اللسانيات، فقد يصطدم بمصطلح لم يتوخَّ اللغويون فيه الدقة الكافية للدلالة على الجوانب التي يحيط بها هذا المصطلح، فغالباً مايجد القارئ أو المتتبع عبارات عامة مبهمة تحاول أن تجمع بين ما هو تراثي، وما هو حديث في مجال اللسانيات، وهذا ما جعل عبدالسلام المسدي ومصطفى غلفان يدعوان إلى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وهناك من يتمسك بالتراث اللساني العربي دون غيره، وهذا ما وجدناه عند عبدالرحمن الحاج صالح الذي دعا إلى التمسك بالتراث اللساني القديم، والأخذ من الخليل وسيبويه وغيرهما.

وعليه، فإننا أمام أفكار وتصورات حول اللغة عامة والعربية خاصة، بعضها تقليدي يدعو إلى التمسك بالتراث، وبعضها حديث يدعو إلى إغفال التراث والتمسك باللسانيات الحديثة، وبعضها يحاول أن يتوسط الموقفين .

ومن خلال اطلاعنا على الموضوع، وجدنا أن الأزمة الحقيقية التي تعاني منها اللسانيات العربية هي أزمة مصطلحات، وأزمة الضياع بين الماضي العريق وهيمنته على عقول كثير من اللغويين العرب وبين لسانياتٍ حديثةٍ ترى أنه لا قيمة للماضي، بل علينا تقويم التراث الماضي، وتعديله بما يتناسب مع هذا العلم الجديد، والمتتبع لهذه الدعوة يجد أنها أُخِذَتْ من الغربيين الذين دعوا إلى التخلص من النحو التقليدي السائد عندهم بعد ظهور اللسانيات الحديثة.

أهم النتائج:

- المصطلحان يحملان الدلالة ذاتها، أما عن الاختلاف الحاصل بينهما، فإنه يعود إلى ما يعتري بعض الواضعين من ضعف في أثناء ترجمة المصطلح الأجنبي.
- هناك من يفضل ويرجح مصطلح اللسانيات، ويرى أنه الأفضل مستنداً إلى أدلة مقنعة وإلى توصيات لأهل الاختصاص تزكي هذا المصطلح، وتدعوا إلى استعماله على النطاق العربي كله، ومن هذه الأدلة أن اللسانيات علم واسع استفاد من كل العلوم الأخرى في دراسة اللغات والتأريخ لها بسرد تاريخ الأسر اللغوية، وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها ما أمكنه ذلك، واكتشاف القوانين الضمنية التي تحكم الظاهرة اللغوية، وضبط بنيتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وبناء نظرية لسانية مستقلة بذاتها.
- رفض بعض لغوي المشرق العربي التلاعب ببنية اللغة العربية من خلال تعديل أمور و إضافة أمور أخرى لتتناسب مع هذا العلم الوافد من الغرب، فهم يرون أن غاية وعمل هذه العلوم لاسيما الحديثة منها يقتصر على شرح اللغات وتفسيرها وبيان خصائصها دون المساس ببنيتها.
- رأى بعض علماء اللسانيات في المغرب العربي أن استعمال هذا المصطلح خاطئ في علم اللغة، لأنه يعتمد على اللسانيات في تدريس النحو وتقويم اللغة وهذا ما رفضه الكثيرون من اللغويين وعلى رأسهم الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح، الذي رأى أن العودة إلى الأصالة هي خير معين على فهم هذا المصطلح، وانطلاقاً مما تقدم نجد أن أزمة المصطلحات كبيرة ومستفحلة، إذ
- يكاد يقتصر عمل و جهود اللغويين في العصر الحديث على البحث في المصطلحات وترجيح مصطلح على آخر.
- ثمة خلافات حادة وعميقة في مسألة الأصالة والمعاصرة في تطبيق هذا العلم.

المصادر والمراجع

- إبراهيم ، خولة ، ***مبادئ اللسانيات*** ، دار القصبة ،الجزائر، ٢٠٠٦،ط٢.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، ***الخصائص***، دار الكتب المصرية، تحقيق ،مُحَمَّد علي النجار، ج١، ط٢، دون ت.
- ابن خلدون، ولي الدين عبدالرحمن بن مُحَمَّد، ***مقدمة ابن خلدون***، ت: عبدالله مُحَمَّد الدرويش، دار يعرب،٢٠٠٤،ط ١.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ***الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها***، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،١٩٩٧،ط١.
- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، ***لسان العرب***، مادة لغا، دار صاد، بيروت، ط١، ج١٥، دون ت.
- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، ***رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب*** ، تحقيق ،الشيخ علي مُحَمَّد معوض،الشيخ عادل أحمد عبدالموجود،عالم الكتب، ج١،بدون ط.
- السعران، محمود، ***علم اللغة مقدمة للقارئ العربي***، دار النهضة العربية، بيروت، دون ط، دون ت.
- السكاكي، أبو يعقوب بن يوسف بن مُحَمَّد بن علي، ***مفتاح العلوم***، ت: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ٢٠٠٠، ط١.
- الضامن، حاتم صالح، ***علم اللغة***، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .
- العايد، سلمان بن إبراهيم، ***أسس علم اللغة العام وتطبيقاته على اللغة العربي***، مقالة، نادي مكة الثقافي، ١٤٢٣هـ.
- الفارابي، أبو نصر ، ***إحصاء العلوم***، دار و مكتبة الهلال، ١٩٩٦،ط١.
- المسدي عبدالسلام ،***قاموس اللسانيات***، دار العربية للكتاب، بيروت، دون ن، دون ط.
- ترزي،فؤاد حنا، ***في أصول اللغة والنحو***، دار الكتب، بيروت،١٩٦٩، دون ط.
- حجازي، محمود فهمي، ***مدخل إلى علم اللغة***، دار قباء، القاهرة، دون ت، دون ط.
- شاهين، عبدالصبور، ***في علم اللغة العام***، مؤسسة الرسالة،١٩٩٣، ط٦.
- عبدالتواب، رمضان، ***المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي***، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ط٣.
- علي، مُحَمَّد مُحَمَّد، ***مدخل إلى اللسانيات***، دار الكتب الجيدة المتحدة ، لبنان، بيروت، ط٢٠٠٤،١.
- غلفان، مصطفى، ***اللسانيات العربية أسئلة المنهج***، اللسانيات،دار ورد الأردنية، ط١، ٢٠١٣.
- قدور، أحمد، ***مبادئ اللسانيات***، دار الفكر ،دمشق، ٢٠٠٨، ط٣.
- مصطفى، إبراهيم،عبد القادر، وآخرون، ***المعجم الوسيط***، دارالدعوة، ط٢، ١٩٦٠.
- ميلود، منصوري، ***الفكر اللساني عند الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات***، ع ٧، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد خضير بسكرة ، **٢٠٠٥**.
- وافي، علي عبدالواحد ،***علم اللغة***، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٩، ٢٠٠٤.